

دراسات في تعليم اللغة العربية وتعلمها
مجلة دولية علمية محكمة نصف سنوية
السنة الثانية، العدد الثالث، خريف وشتاء ١٣٩٦/١٤٣٩، ص ٥٦-٣٧

تعليم اللغة العربية في ضوء التداولية والخطاب الثقافي

سعدالله همايوني*

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران الإيرانية.

تاريخ الوصول: ١٣٩٦/١٢/١١ تاريخ القبول: ١٣٩٧/٠٢/٢٥
١٤٣٩/٠٦/١٤ ١٤٣٩/٠٨/٢٩

الملخص

اللغة هي مرآة تعكس معالم الحياة المادية والمعنوية في المجتمع، كما هي الأداة الأساسية التي يمكن بمساندتها البوح بما يجول في ذهن الإنسان، والتعبير عما يجيش في أعماق صدره. فانطلاقاً من الدور الرئيس الذي تلعبه اللغة، بدأ العلماء في الحقول المختلفة مثل علم اللغة، وعلم النفس التعليمي، وعلم الاجتماع، وعلم الاتصالات، وعلم الثقافة وغيرها يدرسون إواليات بناء اللغات ونظمها اللغوية دراسةً تركيبيةً، ودلاليةً، وتداوليةً، حيث مهّدت هذه الدراسات أرضية خصبة لتقديم مناهج تعليمية جديدة لإتقان اللغات الأجنبية وذلك من خلال تمحيص عملية التعبير والفهم المتبادل أثناء الاتصال الشفهي والتحريري. من هذا المنطلق يسعى الكاتب حسب المنهج الوصفي - التحليلي ومن منظور المفاهيم النظرية المتعلقة بنحو الخطاب التداولي إلى تقديم رؤية جديدة في عملية تعليم اللغة العربية في ظلّ التداولية والخطاب الثقافي والذي يهتم بعرض المواد الدراسية في إطار تداوليّ سياقيّ يوفر الظروف الملائمة لتمكين الطلاب من التفكير بالعربية وتبعاً لذلك توظيف اللغة وفقاً للأسبقية اللغوية والتداولية.

الكلمات الدلالية: اللغة والفكر، المنحى الوظيفي، الخطاب الثقافي، تعليم اللغة العربية.

* الكاتب المسؤول: homayooni84@ut.ac.ir

١. المقدمة

من الملاحظ في الكتب المنشورة خلال السنوات الأخيرة وفيما يختص بمجال تعليم اللغة العربية للطلاب الإيرانيين، أن الإسهامات العلمية والمروضة في هذا المجال ضئيلة جداً، حيث تركز معظم هذه الجهود على طرق حل انطباعية لا تسمن ولا تغني، كما أن المناهج المستخدمة في هذه الكتب معظمها مناهج مقتبسة ومما صمّم لتعليم اللغة الإنجليزية في أصولها ومبادئها مثل «المنهج الاتصالي». ولو نظرنا إلى هذه الجهود نرى أنها كذلك لا تتلائم مع الظروف والتحديات، والإمكانيات المتاحة، والبنية التحتية والقضايا اللغوية... في دولة إيران كما نجدها تخلو من التخطيط اللغوي المناسب حول العناصر اللغوية من المورفيم إلى تحليل النص والخطاب.

هذا الضعف العام في مجال التخطيط اللغوي وبعد مرور أكثر من ثلاثين سنة من تأسيس اللغة العربية نجد في مقابلها الحركة العلمية الشاملة والنشطة في تعليم اللغة الإنجليزية حيث مئات من الكتب العلمية ودور تعليم اللغة الإنجليزية في أنحاء البلاد والكتب التي تتمتع بمنهجية وتخطيط لغوي مما أدى إلى ثراء نوعي وكمّي كما أنجبت هذه الدراسات الممنهجة طلاباً يأخذون بناصية اللغة الإنجليزية ويستخدمونها حسب السياقات اللغوية والتداولية بطلاقة ويسرٍ مع أن الاختلاف الثقافي -والذي يعتبر تحدياً في مجال تعليم اللغة- بين أبناء اللغة الفارسية والناطقين بالإنجليزية أكثر بكثير من اختلافهم مع الناطقين بالضاد.

في هذا السياق يرى الكاتب أن تقديم أيّ حلٍ لتذليل العقبات وتيسير المشكلات في هذا المجال المعقد لا بدّ أن يرافقه تبيين للأهداف التعليمية وللمتطلبات المأمولة والرؤى المنشودة ثم التخطيط الدقيق لجميع البرامج اللغوية مع الأخذ بالاعتبار جميع الإمكانيات المتاحة وظروف تعلم اللغة في بلدنا.

وانطلاقاً من هذا الأمر قام مقال الباحث على دراسة تعليم العربية حسب الأطر الخطابية، والتداولية واضعاً في الاعتبار الثقافة والتشاقف جزئيين مهمّين في عملية إتقان المهارات اللغوية كما قد برمج تطبيق المنهج التداولي الثقافي في التعليم والتعلم . ولذلك فمن الضروري إعادة النظر في المناهج المتبعة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتطويرها نحو مناهج ثقافية إلى جانب كونها لغوية ونفسية وتربوية. وذلك حتى تتآزر مع هذه اللغة وما فيها من وظيفة لغوية ودلالية ووظيفة ثقافية، وتوازن لدى متعلميها والناطقين بالفارسية بين إجادتها لغوياً ودلالية.

٢. الدراسات السابقة

هناك بحوث عديدة في مجال المحاور المستهدفة في هذه الدراسة من مواضيع الخطاب والتداوليات إلى الثقافة والسياق وغير ذلك ولكن هذه الدراسات تهدف إلى دراسة المواضيع الثقافية والتعليمية باعتبارها مواضيع منفصلة وربما في مجال يختلف عن تعليم اللغة الأجنبية ومن أهم هذه الدراسات ما يلي:

الحجيلي منصور ابن عبدالعزيز في دراسة «البراجماتية عرض و نقد» حيث يدرس دلالة مفردة البراجماتية ويتحدث عن أهم أعلامها مثل «وليم جيمس».

زيغد، سعيده (٢٠١٢) في مقالة «البؤرة في نظرية النحو الوظيفي: قراءة جديدة في تنميط أحمد المتوكل» حيث تدرس المستوى التداولي لنظرية النحو الوظيفي خاصة محور البؤرة وتورد بعض التعديلات في هذا المجال.

الحموز عبدالفتاح، (٢٠١٢) في بحثه (نحو اللغة العربي الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل) يقوم في تطبيق نظرية النحو الوظيفي ورؤى أحمد المتوكل حسب عناوين الفصول للقواعد النحوية في اللغة العربية.

وعلى مستوى داخل إيران كانت هناك بحوث حول محاور الدراسة ولكنها كانت تفتقد أيضاً إلى الرؤية الشمولية في دراسة عملية تدريس اللغة العربية خطاباً ودلالةً وتداولاً وثقافة وهذا ما يسعى الكاتب ويهدف إليه بغية ملء فراغ هذا الحقل وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

أ) ما هي أولويات تدريس اللغة العربية حسب المنحى الوظيفي والخطاب الثقافي؟

ب) كيف يتمكن الطالب الإيراني من إتقان اللغة العربية خطاباً وتداولاً؟

٣. اللغة والثقافة والفكر

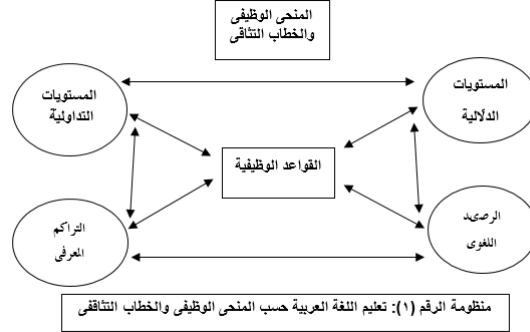
يعتقد الكاتب أن تعلم اللغة في الوهلة الأولى يعنى تعلم الثقافة والفكر وإذا قبلنا هذا الكلام فمن الواجب الإمام بتعليم الثقافة في جميع أبعاد عملية إتقان اللغة، بناءً على هذا لا يمكن تعلم أي اللغة بنجاح إلا من خلال تعلم الجوانب الثقافية والحضارية فنعتبرهما وجهين لعملة واحدة توفران الأرضية اللازمة للتفكير باللغة الأجنبية والأخذ بناصيتها حسب الأطر التداولية والخطابية.

ولكل شعب ثقافته التي يتميز بها عن غيره، وتنعكس هذه الثقافة على لغة هذا الشعب، فاللغة هي الوسيلة التي تستخدمها الشعوب للتعبير عن العناصر المختلفة للثقافة: من عادات ومفاهيم وتقاليد وقوانين. ويوجد تكامل بين اللغة والثقافة، حيث

تكتسب من خلال الانخراط في المجتمع، فالتكامل بين اللغة والثقافة على درجة كبيرة من الأهمية. بداية لا بد لنا قبل الولوج إلى جوهر هذا الموضوع من تحديد معنى هذين المصطلحين. (الدريد: <http://kenanaonline.com>).

في تعريف اللغة: اللغة هي مجموعة من الإشارات والرموز. وتعتبر اللغة من أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدونها يتعذر على البشر القيام بأي نشاط بشري فكري أو معرفي، وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً لأن أفكار الإنسان دائماً لا تستطيع أن تظهر لوحدها ولا بد لها من لغة ما لتتجسد على أرض الواقع (المصدر نفسه). أما الثقافة هي الحصيلة المبرمجة، أو النتاج الجماعي المنظم للعقل البشري، حيث تميز هذه الحصيلة مجموعة من البشر عن بقية المجموعات الأخرى، أو هي تكامل الخصائص العامة المتفاعلة التي تؤثر على استجابات أو تفاعلات مجموعة بشرية محددة مع ما يحيط بها (حمودة، ٢٠٠٥: ١٣٣). على هذا الأساس تستوجب عملية تعليم الكفاءات اللغوية خصوصاً في الموضوعات الحديثة المتداولة ضمن أطر من الثقافة العربية الحديثة حيث يتوجه الطالب على تعلم اللغة وفقاً للأطر الثقافية والسياقات الخطابية.

من الواضح أن هناك علاقات وطيدة بين اللغة الفارسية والعربية وفي جميع المجالات المذكورة كما أن هناك علاقات ثقافية وحضارية شاملة ترتقي إلى ماضي عريق والتي أدت إلى علاقات تبادلية عبر القرون، ولكن بما أن اللغتين تنتميان إلى أسرتين لغويتين مختلفتين نمطياً، إلا أن هناك اختلاف جذري في نظام الجملة بينهما وكذلك في كيفية صياغة المفردات والتراكيب السانتاكسية، كما هناك تباين ثقافي وحضاري بين الشعب الإيراني والعربي مع وجود جميع العلاقات الآنف الذكر، ويستدعي تعليم العربية استغلال أبعادها الثقافية إلى جانب أبعادها اللغوية والتداولية. فلا بد من تحييص اللغة العربية من منظور خطابي تداولي بنية ودلالة حيث تتم عملية تدريس المهارات اللغوية في ضوء منهج يوفّر ظروف التفكير بالعربية والتعارف مع العربي حسب الأطر وسياقات الخطاب. في هذا الإطار نقترح المنظومة التالية لإتقان العربية.



٣.١ القواعد الوظيفية

بناءً على ما سبق تعتبر القواعد الوظيفية، الأساس الذي يرتبط بالجوانب الدلالية والتداولية والمعرفية والمكونات اللغوية والاصطلاحية عند عملية الاتصال ونقل الرسالة من المتكلم إلى المتلقي والعكس صحيح. ولاتحدث عملية الاتصال التناقحي الخطابي سوى من خلال الإلمام بجميع هذه المحاور في عملية التعليم أو تعلم أي لغة أجنبية.

والمقصود من القواعد الوظيفية هي التي تُذكر وتُفهم من خلال السياق ولها شمولية تامة في وصف الظاهرة اللغوية دلالةً وتركيباً وتداولاً من حيث بناءها عليها، ويتمّ تحييص البنية العميقة واختلافات البنى السطحية حسب السياق والبُنى متا (meta) اللغوية.

فعلى سبيل المثال «وفقاً للمستوى الدلالي في النحو الوظيفي تتكون البنى التركيبية في اللغة العربية من جملة إسنادية تتكون من مسند ومسند إليه، أو من مسند تردُّ بالنسبة إليه عدّة مسانيد، مثل قولك «جاء محمد» (مسند+ مسند إليه) أو «شرب محمد لبناً» (مسند+ مسند إليه (١)+ مسند إليه (٢)). يُصطلح على البنية المكوّنة على هذا الأساس (البنية الحملية) ويُسمّى الطرف الأول منها (المسند) بـ (المحمول) والموضوعات المسند إليه (حدود). وفي البنية الحملية «يدل المحمول على واقعة، والوقائع أربعة أصناف:

- أعمال: صفع خالدُ زيداً (عمل)
- أحداث: أسقطت الريح الأشجار (حدث)
- أوضاع: وقف خالد بالباب (وضع)
- حالات: خالد فرح (حالة)

وهذا التقسيم الدلالي لأنواع الوقائع هو وارد بالنسبة لنوع الحد الذي تُسند إليه الواقعة، فعليه إذا كان المحمول (الواقعة)، عملاً فإنه يفرض استحضار حدّ منفذ يساوقه في نفس الحمل (البنية الحملية)، وإذا كان حدثاً يفرض استحضار قوة، وإذا كانت ضعفاً يفرض استحضار متموضع، وإذا كان حالة يفرض استحضار حائل» (بوراس، ٢٠١٤: ٢٠).

ومن الطريف أن نعرف هذا التقسيم لأنواع المحمول، يُعتبر إعادة صياغة مفهوم الوقائع في الأنحاء التقليدية والبنوية التي تحصر الواقعة في دلالتها (الحدث والفاعل) حيث إن قولك (مرض زيدٌ أو جلس زيدٌ و...) يعتبر (فعل + فاعل) مع أن (زيد) في الأمثلة المذكورة ليس بفاعل حقيقي وإنما هو حسب النحو الوظيفي (حائل، و متموضع).

انطلاقاً من هذا لا يستطيع المتعلم أن يحدد الأدوار الدلالية والتركيبية بسهولة النحو التقليدي وقبل تعيين هذه الأدوار المندوحة له من استيعاب معنى الأفعال والبنى الموجودة في سياق الجملة.

كما أن هناك أدواراً تداولية في النحو الوظيفي تلعب دوراً أساسياً في إتقان اللغة العربية حسب واقعها الطبيعي الخطابي، حيث يمكن تعريف بعض الكتب للقارئ الكريم مثل أحمد المتوكل (من البنية الحملية إلى البنية المكوّنة الوظيفة المفعول في اللغة العربية (١٩٩٧) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد (٢٠٠٠)، الوظائف التداولية في اللغة العربية (١٩٨٥) حيث كان متبعاً لسيمون دايك من حيث اعتباره الوظائف التداولية أربع: وظيفتين خارجيتين بالنسبة للحمل (المبتدأ والذيل) ووظيفتين داخليتين بالنسبة للحمل (البؤرة والمحور) وتعديلاً لهذه النظرية يضيف إلى الوظائف الخارجية، وظيفة جديدة (المنادى) كما يأتي بتعديلات عدّة في سائر الأدوار التداولية حسب طاقة اللغة العربية ومرونتها (المتوكل، ١٩٨٥).

٢.٣ المستويات الدلالية

كلُّ من الدلاليّات والدلاليّة ترتبط بقدره الناس على استخدام اللغة بشكل ذي معنى، ولكن الدلاليّات تُعني بشكلٍ أساسي بكفاءة (أهليّة) المتحدث من ناحية استخدام نظام اللغة، فعلم الدلالة يتحدث عن سلسلة معاني الألفاظ في نظام الجملة من حيث العلاقات التركيبية والاستبدالية (أبو الحارث: علم الدلالة والبراغماتك). (١)
ومن أهم المستويات الدلالية في حقل دلالة المفردات والتراكيب التلاؤمية هي:

المعنى الإرجاعي (المعجمي)

هو ما يدخل في المعجم على حسب الاتفاق الجماعي (لطفي بور ساعدي، ١٣٨٩: ٧٨)، بتعبير آخر هو المعنى الأصلي والوضعي للمفردة مثل: «السماء» و«المطبخ» و«رأس» و ...

رفع يده نحو السماء مبتهلاً
وأخذتُ أتقلُّ بين الصالة والمطبخِ والحجرة وأنا أدخنُ.
رأسي يزعجني جداً.

معنى الحافة

المعنى الإضافي الذي توحى به كلمة ما، زيادة على معناها الأصلي. وكثيراً نواجه هذا المعنى في المترادفات نحو «تكللت بـ» «منيت بـ». الأولى إيجابي والثانية تدل على معنى سلبي، وكذا بين «الغيث» و«المطر» أو بين «الطقس» و«المناخ» و«الجو» و ... إلخ. إن المفاوضات النووية بين إيران والدول الخمس زائد واحد تكللت بالنجاح. إن السياسات التي انتهجتها أمريكا ضد العراق وأفغانستان وسوريا واليمن وليبيا منيت بالفشل.

كيف المناخ في لبنان؟

ما هي انطباعاتك الأولية عن الطقس في الصيف؟

أو كيف الجو هناك؟

وهذا المعنى الإضافي كثيراً ما نشاهده في الأفعال التي تتمتع بدرجة لغوية واسعة من مرادفات أمثال «أمطرت» و«هطل أو انهمر» في العبارات التالية:

أمطرت السماء أمس.

هطل المطر أمس أو انهمر المطر أمس.

والأول يدل على نزول المطر فحسب، وأمّا الثاني والثالث يدلان على نزول المطر بغزارة.

المعنى التلاؤمي (التركيب)

المعنى الذي تأخذه المفردة من خلال علاقتها الأفقية مع نظائرها من المفردات. وهذا المستوى يحظى بدور مهم في تحديد معاني المفردات والتركيب الدلالي، فمثلاً مفردة

«يد» معناها الإرجاعي هو «دست» بيد أنها تتمتع بمعانى جديدة حسب تلاؤمها مع مفردات أخرى أو في سياقات منوعة:

أعطيته مالا عن ظهر يد (بدون چشم داشت به او مالى بخشيدم)
هم يد على من سواهم (يعنى آنها متحدثند).
سقط في يده (پشيمان شد).
خلع يده من الطاعة (نافرمان شدن، سرپيچی كرد).
أو مفردة «طلق» في السياقات الدلالية التالية:

أطلق الرجل الرصاص.
أطلق الرجل لحيته.
أطلق الرجل رصاص الرحمة نحو جندي العدو المجرورح.
الأم تتعاطى مع طفلها بصورة سيئة وتتصرف معه كما لا يجدر بها إطلاقاً بوصفها
الأم والملاذ الوحيد للطفل.
أطلق الرجل ساقه للريح.
أطلق الرجل اسم أبيه على ابنه المولود.
أطلق سراحه.
أطلق الجبل على الغارب و وكذلك تراكيب نحو: يتحدث بطلاقة/ جو
طليق/ هو طالق من زوجته و....

التحليل التركيبي

مصطلح التحليل التركيبي أو التحليل التكويني هو منهج دلالي يفترض بأن معنى الكلمة يمكن وصفها بناءً على المكونات المستقلة، والتي تكون في غالبها ثنائية. والمكونات هي الصفات المتضمنة في معنى أي كلمة، مثل التي نراها في تعاريف القواميس، على سبيل المثال «الكلب» يشير إلى الثدييات. وكذلك هو يشير إلى حيوان أليف وأكل لحوم. وهذه الطريقة يمكننا تمثيل الصفات كالتالي:

الكلب من الثدييات، ومن الحيوانات الأليفة، ومن أكل اللحوم
أحد الأمثلة النموذجية التي تفترض مواصفات مثل: حي، إنسان، ذكر، بالغ
هذا هو ما يعرف بالتحليل التكويني أو التركيبي هذا المنهج يستخدم لتحليل معنى الأنواع المعينة من الأسماء بناءً على مواصفاتها الدلالية وعليه نقدم جدولاً في التحليل

التكويني:

	Table	Horse	Boy	Man	Girl	Woman
Animate	-	+	+	+	+	+
Human	-	-	+	+	+	+
Female	-	-	-	-	+	+
Adult	-	+	-	+	-	+

تتضح الصفات الدلالية والتحليل التكويني، أو التحليل التركيبي في هذا الجدول، فمثلاً: لو أخذنا Table الطاولة من ناحية الحياة: ليست حية / الإنسانية: ليست إنسان / الأنوثة: ليست أنثى / البلوغ: ليست بالغة فبالنسبة للطاولة كل الصفات هي سالبة.

لو أخذنا مثلاً Woman، نجد أنها، الحياة: حية / الإنسانية: إنسان / الأنوثة: أنثى / البلوغ: بالغة (أبو الحارث: علم الدلالة والبراغماتك)، مما لا ريب فيه أن دراسة هذا المستوى وتمحيص أبعاده في قاعة المحاضرة لها دور مهم في فهم المعنى واستيعاب الحقول الدلالية، ومن هنا أذكر بعض الأمثلة مع ترجمتها الفارسية ممعناً النظر إلى هذا المستوى:

عندما كنت أمر بجانب الغرفة وقع نظري على القطة.
فمثلاً توجد في عبارة «وقع نظري على القطة» مستويات دلالية تستوجب التدقيق إلى التحليل التركيبي، مثل المفاجأة، والغفلة. فلا يمكننا ترجمة هذه العبارة إلى «ديدم، مشاهده كردم» بل نترجمها هكذا «چشمم افتاد». هنگامی که داشتم از کنار اتاق رد می شدم چشمم به گربه افتاد. وكذلك مثلاً:

و وجدتُ الغرفةَ الخشبيةَ في مدخله مضاءةً وبأبها مفتوحاً. واختلستُ النظرَ داخلها فوجدتُ...».

ما إن وقع نظره على أخيه حتى هرولت نحوه واحتضنه / عانقه بحفاوة تامة. به محض اینکه چشمش به برادرش افتاد به سمت او شتافت و به گرمی (هرچه تمام تر) وی را در آغوش کشید.

انطلاقاً من هذا فلا مندوحة من تعليم المستويات الدلالية إلى جانب المستويات الآنفة الذكر لأن الطالب الإيراني لا يكتسب اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية فطرياً

وتلقائياً، بل يتعلمها معرفياً وبرعاية أستاذ أو مدرس يعلمه الأنماط اللغوية في قاعات المحاضرة. كما هناك مستويات ومحاور دلالية أخرى لايسعنا المجال لدراستها هنا.

٣.٣. المستويات التداولية

في التداوليات يكون التركيز الرئيسي على قدرة الشخص في استخلاص المعاني من الأنواع المحددة من حالات التعبير (مواقف الكلام، مواضع الحديث). ومن أمثلة مواضع التداوليات، فهم ما يرمي ويشير إليه المتحدث من كلام، وتدوين المعلومات التي يفترض أنها تكون مفروغاً منها ولم يأبه بذكرها، على سبيل المثال الجملة التالية: «أنا جائع»، قد يقولها متسول لم يأكل طوال اليوم، بمعنى أنه يقصد فعلاً أنه يتضور جوعاً.

أو يقولها طفل قاصداً تأجيل موعد ذهابه إلى فراشه، وإن لم يكن جائعاً فعلاً.

أو قد يقولها رجل يقصد من قوله أنه يريد تناول الغداء مع شريكه في العمل.

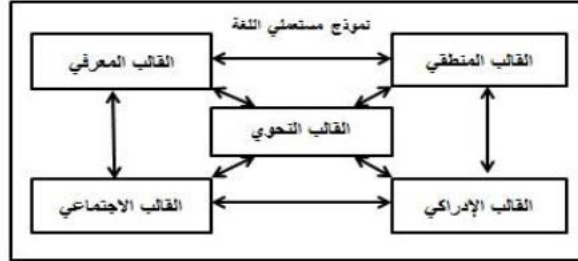
فالأحداث الثلاثة لديها مشترك واضح، ومع ذلك فإنها تشير لنوايا مختلفة تكون عرضة للتفسير بشكل مختلف كون المواقف والمشاركين في المواقف مختلفين (المصدر السابق). وكشف هذه النوايا يعتمد على قدرة المتلقى على الفهم واستيعاب عناصر المتنا- بنوية أو السياق المقامي.

فعلية تشكل «القدرة التواصلية» لمستعمل اللغة الطبيعية من الملكات الخمس، وهي: الملكة النحوية والملكة المعرفية، والملكة المنطقية، والملكة الاجتماعية، والملكة الإدراكية (المتوكل، ٢٠١٠: ٧٤).

تحدد قوالب الآلات (القالب النحوي والقالب المنطقي) في نتاج العبارات اللغوية وتأويلها. بينما يكمن دور قوالب المخازن (القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي)، في إمداد قوالب الآلات بما يستدعيه النتاج والتأويل من معلومات لغوية وتداولية (صدقي، ٢٠١٤: ٤٧).

في هذا الإطار من الأحرى أن نمعن النظر في مجالين أساسيين من تكوين المعنى القصدي وهما «الخطاب والسياق». حيث يعتقد الكاتب أن المجالين هما الأساس في توجيه المعنى وتكوينه قبل تكوين المعنى في البنية العميقة وإظهارها في البنية السطحية.

نموذج مستعملي اللغة:



ويكتسب الخطاب والسياق أهميتهما لارتباطهما ببعض، ولأن الخطاب لا معنى له إلا إذا وضع في سياقه ومقامه، ولكون الخطاب متعددًا ومتنوعًا؛ وذلك نحو الخطاب السياسي، والخطاب التربوي، والخطاب الديني، والخطاب الشعري، والخطاب الفلسفي... إلخ، فلا بد وأن تتنوع أسئلة تأويل هذه الخطابات وفهمها، لذلك فإن هاييمس Hymes يذهب إلى كون أهمية السياق يكمن في حصر التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود. ويتوارد الخطاب والسياق في نحو الخطاب الوظيفي، كدال لمدلولة فهمها وجهان لعملة واحدة؛ لأنه لا يمكن تأويل الخطاب دون استحضار سياقه، على اعتبار أن النحو الوظيفي مرهون بتفسيره «للقدرة التواصلية» لمن يستعمل الخطاب، ولا يكون ذلك متأياً إلا بتسيق الخطاب، وفك طلاس اسم الالتباس الدلالي والتداولي والبنوي التي يمكن أن تساهم في التشويش على المخاطب في تأويله للخطاب (المصدر نفسه: ٤٥)، ومن ثمّ تضطلع دراسة الأسئلة التي يجري فيها الخطاب بدور هام في البوح بالمعنى القصدي للغة الحوار. بناء على هذا ندرس السياقات «المقالية، والعاطفية والمقامية والثقافية».

قسّم المحدثون السياق إلى أربعة أقسام وهي:

- ١) السياق اللغوي (المقالي)
- ب) السياق العاطفي
- ت) سياق الموقف (المقامي)
- ث) السياق الثقافي

السياق اللغوي

هو حصيلة استعمال الكلمات داخل نظام الجملة عندما تتساق مع كلمات أخرى، بما

يكسبها معنى خاصاً محدّداً، فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدّد ومحمّل، في حين أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدّد أو الاشتراك أو التعميم (اختيار المفردات التي لا اشكال فيها) (مزبان، ٢٠٠٧: ١٧٢).

فحينما ترد كلمة (القواعد) في العربيّة، وهي من الكلمات التي يكون فيها المشترك اللفظي في سياقات لغوية متعددة بين للمتلقّي ما يحمله من معانٍ مختلفة في كل سياق يرد فيه، إنّ كل سياق ذكرت فيه كلمة (القواعد) يقدّم معنى واحداً تتجه الأذهان نحوها وتترك ما سواها فلا يقع أي اشتراك في السياق، فقولنا:

قواعد اللغة العربية ليست سهلة كما نتصور.

بدأت القاعدة في العراق تنهار وتراجع.

هناك قواعد أمريكية على أراضي تركية.

عليك أن تبني موضوعك على قاعدة واضحة وثابتة

وضع تمثال أبي القاسم الفردوسي على قاعدة من الإسمنت.

يقع السرداب (القبو) في قاعدة البيت.

تقع القرية في قاعدة الجبل

المثلث له قاعدة وضلعان.

فالسّياق اللغوي بمعنى النصّ المشارك، وهي مجموعة الكلمات الأخرى المستخدمة في نفس العبارة أو الجملة، له تأثير قوي على ما نعتقد أنها على الأرجح معانٍ للكلمة.

السياق العاطفي

وهو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، ويقصد به مجموعة المشاعر والانفعالات التي تحملها معاني الألفاظ وتتفاوت كثرة وقلّة في هذه الألفاظ. بتعبير آخر إنّ السياق العاطفي الانفعالي يحدد الصفة أو التركيب من معيار قوة الانفعال وضعفه على الرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أنّها تختلف دلالتها، بمعنى أن ما يحمله الفعل (يكره) من مشاعر النفور غير ما يحمله الفعل (يبغض) على الرغم من اشتراكهما في أصل المعنى، فإننا نلمس شعوراً بالنفور وكرهية أشدّ في الفعل (يبغض) منه في الفعل (يكره). ومثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: (اغتيال) و(قتل) فضلاً عن القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال التي تصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل

على أن المغتال ذو مكانة اجتماعية عالية وإن الاغتيال كان لدوافع سياسية، فإنّ الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول وهي دلالات تشير إلى أن القتل يكون بوحشية وإنّ آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلاً عن ذلك فإنّ المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية (المصدر السابق: ١٧٣).

أو بين كلمتي «العقيلة» و«الزوجة» فنلاحظ ما يلي:

دخل الرئيس التركي برفقة عقيلته إيران أمس الأربعاء.

و دخل الرئيس التركي برفقة زوجته إيران أمس الأربعاء.

فعليه إنّ السياق العاطفي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفاً، إذ تنتفي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال، ربما تعكس من خلال تكرار المرادفات مثل «لن نرضخ أمام العدو ولن نتراجع إطلاقاً بل نقف صامدين، ثابتين متمسكين بأصولنا ومتشبثين بقيمنا وآمالنا...» كما أنّ هناك دوراً مهماً للنبرة والتنغيم في إضفاء شحنة تعبيرية عاطفية إلى معاني الجمل.

انتهى الدرس. خبر حقيقي. و انتهاء الدرس يفرح المتعلم.

الدرس ← تأكيد

↑

2 - انتهى

3 - انتهى

↓

الدرس ! ← استغراب

فلأداء الصوتي دور بارز في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية، والعاطفية، كأن تُنطق وكأنها تُمثل معناها تمثيلاً حقيقياً، ولا يخفي ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية التي تفيد الخصوص فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً (كامل سعيد، ٢٠١١: ٤٧٠).

سياق الموقف (أو السياق المقامي)

يدلّ سياق الموقف على العلاقات الزمانية والمكانية التي تجري فيها العملية التواصلية وتعكس من خلال ما يسميه أوستن «القول أو أفعال الأقوال»، ويقصد بسياق الموقف،

الموقف الخارجي الذي يدور في الحوار. لاحظوا إلى الحوار التالي بين مريم وأُمّها.
افترضوا أنّ أمّ مريم تغسل الأطباق وهناك من يطرق الباب فتدعو مريم هكذا:
«يا مريم أنا أغسل الأطباق»
نلاحظ معنى هذه الجملة في مستوى البنية السطحية هي تخبر عن اشتغالها بغسل
الأطباق.

ولكن في مستوى البنية التحتية ووفقاً لسياق الموقف والمعنى القصدي هي تريد أن
تقول:

«يا مريم افتحي الباب» أو «انظري من يطرق الباب».
تبعاً لهذا السياق يمكن دراسة ما جاء في نظرية فعل القول وما يميزه أوستن بين
ثلاثة أنواع من أفعال أو قوي في أيّ فعل قول.
هل لديك ساعة؟

القوة اللفظية: ما قيل فعلاً، وهي نتاج الكلمات التي شكلت القول.
القوة غير اللفظية: المعنى المقصود من وراء القول (في المثال السابق: السؤال عن
الوقت)

القوة المترتبة على النطق: التأثير الناجم عن القول على المستمع. حصل الحدث، ثم
المستمع نظر إلى ساعته، وقال الوقت.
لتفسير المعنى المقصود، فإن المستمع يحتاج لمعرفة السياق الاجتماعي .

السياق الحضاري (أو الثقافي)

أما السياق الثقافي فيعنى به القيم الثقافية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمن دلالة
معينة، وقد أشار علماء اللغة إلى ضرورة وجود هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللغة
الواحدة لكي يتم التواصل والإبداع.

وينفرد هذا السياق بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من
خلال المعطيات الاجتماعية، لكن هذا لا ينفى دخول السياق الحضاري ضمن معطيات
المقام عموماً، ويظهر السياق الحضاري في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد،
ويحدد السياق الحضاري الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم بشكل عام، كما
تؤدي ارتباط الكلمات بحضارة معينة لتكون علامة لانتها عرقي أو ديني أو سياسي
(مفردات تتلائم وحضارة الشعب الناطقين بتلك اللغة).

إن السياق الحضاري أو الثقافي هو الذي فرض على كلمة (عامل) أن تدل في

العصر الجاهلي على كل من يعمل بيديه، والجمع لها؛ عَمَّال، وَعَمَلَةٌ، ثم صارت في العصر الإسلامي تدل على الوالي المعين من الخليفة على مصر من الأمصار، ثم في العصر العباسي ومع نشأة علم الكلام أصبحت تعني السبب أو الدافع، وجمعها عوامل، ثم أصبحت في العصر الحديث تحمل كل المدلولات، ولكن إذا جمعت على (عاملون) انصرفت إلى موظفي الدولة، وإذا جمعت على (عوامل) انصرف الذهن إلى الأسباب، وهكذا تصبح البيئة الحضارية أو الثقافية أثراً في تحديد مدلول الكلمة. وقد أشار محمد علي الخولي إلى العلاقة بين الكلمة وبين الجملة إذ «إن الكلمة تؤثر في معنى الجملة، ولكن أحياناً يحدث العكس الجملة تؤثر في معنى الكلمة وهذا ما يعرف بالمعنى السياقي كثير من الكلمات يختلف معناها حسب السياق اللغوي الذي تقع فيه... فإذا كان لكلمة ما عدة معان غير سياقية، فإن السياق اللغوي هو الذي يحدد المعنى المقصود من بين تلك المعاني (إبراهيم، ٢٠٠١: ٢٤-٢٥).

الرصيد اللغوي و التراكم المعرفي

تستوجب عملية تكوين الرصيد اللغوي والمعرفي للمتعلم غير الناطق بالعربية والذي يعيش في بيئة فارسية، الاهتمام إلى مادة الاجتماعيات وتجربياته الشخصية والمعرفية في لغته الأم رافداً من روافد المساهمة في تنمية حصيلته اللغوية المعرفية كما تستدعي هذه العملية، عرض معنى المفردات والمصطلحات في إطار المواقف العامة والجامعية والتي من شأنها أن تقرب الموضوع من ذهن الطالب، بحيث تكون في متناول خبرته (همايوني، ١٣٩٤: ٣٢٦).

ودون شك أن المفردات لها دور مهم في تعلم اللغة الأجنبية، ولكن فهم معاني المفردات مجردة لثُمَّكَّن المتعلم من التواصل الناجح مع الناطقين بتلك اللغة؛ لأن هذه المفردات تعبر عن معانٍ ضيقة جداً تقتصر على المعنى المعجمي، وقد تعدد معاني المفردة الواحدة فلا يكون مناص من التحديد والتقييد، ومن هنا كان الانتقال من تعليم قوائم المفردات إلى تعليمها في جملة دالة على المعنى المقصود. ولكن هناك بون شاسع بين تعليم المفردات منعزلة أو في سياق جمل أو نصوص تعليمية وتعليمها في سياق تحليل الخطاب. وهي كما يلي:

- أ) تعليم المفردات منعزلة على هيئة القوائم يتميز بالتركيز على معنى المفردة فحسب؛ لأنه تعليم للمعنى دون الاهتمام للمبنى أو أي وظيفة أخرى.
- ب) أما تعليم المفردة في سياق جملة أو نص فإنه يقصد إلى تقييد معنى المفردة

وإقصاء المعانى الأخرى المحتملة.

وأما تحليل الخطاب فإن نظرتة للمفردات تختلف اختلافاً كبيراً عن المناهج التقليدية لتعليم المفردات وتعلمها؛ أي القائمة والجملة، ولكن هذا لا يعني استغناءه عنهما فمرحلة القوائم والمفردات المنعزلة هي المرحلة الأولى التأسيسية، ثم تُعقبها مرحلة الجملة أو النص التعليمي، ثم يبني تحليل الخطاب عليهما (العناتي، ٢٠١٠: ٩٧).

في الحقيقة نحن في منهجنا التركيبي ندعو إلى تقديم المفردات من خلال النص الخطابي ثم عرض تعريف لجميع المفردات المعروضة على حدها، و بعد ذلك نستخدم المفردات في إطار تداولي خطابي مثلاً نستخدم الأدوات الموجودة في حجرة المحاضرة في نص مكتوب، ثم نعرف المفردات (ولا نقدم ترجمتها، أو مرادفها بالعربية) بل نقدمها بمؤازة تعريفها، مثلاً: نقول الطبشورة: الجص الذي يكتب بها الأستاذ على السبورة أو هي أداة يستخدمها الأستاذ للكتابة على السبورة، والسبورة: هي قطعة من الخشب تُعلّق على الجدار و يكتب الأستاذ عليها بالطبشورة/ الإسفنجية: هي الأداة التي يمسح بها الطالب ما كتب على السبورة و...

طبعاً الطالب يخبّن معنى هذه المفردات دون استخدام لغة الترجمة بل بمساعدة الإطار التداولي والخطابي في المواقف المحددة وكذلك تجاربه في لغة الأم، ثم نستخدم جميع المفردات المعروضة له في حواراتٍ مختلفة وفي مواقف محدّدة ونحصر الحديث حولها. ثم يقوم الطلاب بأداء المهام المناطة إليه.

وبعد إكمال هذه العملية، سوف يحترف الطالب اللغة، بمعنى أنّه يعرف مواقف الكلام والجوانب التداولية لاستخدام اللغة. وبين تعلم اللغة واحتراف اللغة بون شاسع. كثير من الطلاب يتعلمون القواعد ولكن يفتقون عند استخدام اللغة وأحياناً كثيرة يملأ الفراغ بين الكلمتين في جملة واحدة بصمت أو سكتة طويلة. لذلك فجأة يحكم على نفسه إنه لا يملك القدرة الكافية على مواصلة الحديث وبالتالي يفقد ثقته بنفسه وهذا الأمر يفضي إلى إحباطه وتوجهه من استخدام اللغة على الإطلاق.

ولماذا تظهر هذه المشكلة عند الطلاب؟ لأنه لا يحترف اللغة بل يتعلم عناصر اللغة من الأصوات، و المفردات والتراكيب منفردة وخارج عن الخطاب، وبالتالي لا يفكر باللغة بل عند الحوار يبحث في صندوق على جانبه لكي يحصل على القواعد المستلزمة لتكوين جملة ما والتي تكون في أغلب الأحيان لاتناسب ومواقف الكلام ولا السياق الخطابي الذي يحدث فيه الحوار.

انطلاقاً من هذا يتطلب تكوين الرصيد اللغوي والمعرفي حسب الأسيقة المختلفة

لتعلم الطالب المكونات اللغوية والمعرفية في إطار خطابي تداولي حيث يركز على منزلة المفردات والمعلومات المعرفية في تمثيل جهة الخطاب من حيث المرسل والمتلقي وما يرتبط بهما من متغيرات اجتماعية مختلفة، كالوظيفة، والعمر، والجنس و... وإذا كانت القراءة أهم وسيلة لاكتساب المعرفة، وإذا كانت اكتساب المعرفة أحد أهم شروط تعلم اللغة الجديدة، فإن علينا ألا ندّخر جهداً يتطلبه توطين القراءة مدخلاً تعليمياً هاماً.

٤. عرض النتائج وتحليلها

بعد دراسة موضوع «تعليم اللغة العربية حسب التداولية والخطاب الثقافي» حيث تركز معظم أقسام الدراسة في زاوية الدلالة والتداول والخطاب الثقافي يمكننا أن نسجل النتائج التالية:

- نظرية النحو الوظيفي بأبعادها الثلاثة من التركيبية والدلالية والتداولية تقدم رؤية جديدة شاملة لتعليم اللغة العربية حسب واقعها الطبيعي التداولي، فمن المتوقع دراسة هذه الأبعاد لعرض نحو تداولي يتناسب مع الأهداف الاتصالية للغة.

- بما أن الطالب الإيراني لا يعيش في بيئة عربية بل يتعلمها معرفية، لامندوحة من عرض المواد الدراسية من منظور ثقافي خطابي حيث يتعلم الطلاب القواعد الوظيفية، والمفردات والمصطلحات والسياقات لغوية، والمعلومات المعرفية خطابياً تداولياً.

- عرض المواد الدراسية حسب المنظومة (الرقم ١) التي يقع النحو الوظيفي في مركزها وتحيطها الثقافة والأسيقة الخطابية والتداولية، يمكّن الطالب من الأخذ بناصية اللغة العربية حسب الأطر التداولية كما يمكنه من التفكير بالعربية واستخدامها وظيفياً دون الحاجة إلى التفكير بالاستبدال اللغوي والتغيرات القواعدية.

- لا يمكن الفصل بين المحاور المعروضة في المنظومة (الرقم ١)، بل يتطلب هذه المنظومة الإلمام بجميع المحاور عند تدريس أي وحدة في قاعات المحاضرة سواء كان النص تاريخياً أو أدبياً أو محادثةً وإلى غير ذلك. بناء على هذا يوضع توظيف اللغة مخرجاً لغوياً في عين الاعتبار حتى عند تدريس المدخلات اللغوية التي تؤدي إلى تكوين الرصيد اللغوي والتراكم المعرفي لأن المدرس في هذه الوحدات أيضاً، يهتم بتدريس المدخلات اللغوية والمعرفية متّضحاً العناصر السياقية (بأنواعها) والتداولية والدلالية في إطار الخطاب الذي يعرض فيه موضوع البحث والمناقشة.

(١) <http://www.entsab.com/vb/showthread.php?t=92504>

المصادر والمراجع

- إبراهيم، رجب عبد الجواد. (٢٠٠١). دراسات في الدلالة والمعجم. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- بوراس، ياسين. (٢٠١٤). «مشروع احمد متوكل في النحو الوظيفي». مجلة الممارسات اللغوية. العدد ٢١. ص ١٧-٣٤.
- زيغند، سعيدة. (٢٠١٢). «البؤرة فى نظرية النحو الوظيفي: قراءة جديدة في ترميم أحمد المتوكل». مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب. عدد ٣١. ص ٦٤ - ٨١.
- حمودة، عبد الناصر محمد علي. (٢٠٠٥). إدارة التنوع الثقافي في الموارد البشرية. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
- الحموز، عبدالفتاح. (٢٠١٢). نحو اللغة العربي الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل. عمان: دار جريب للنشر والتوزيع.
- صدقى، عبدالوهاب. (٢٠١٤). «نحو الخطاب الوظيفي: من ترميم اللغات إلى ترميم الخطابات مقاربة أحمد المتوكل نموذجاً». مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. العدد الثاني. السنة الخامسة. ص ٤٥-٦٢.
- العناتى، وليد. (٢٠١٠). «تحليل الخطاب وتعليم مفردات العربية للناطقين بغيرها». البصائر مجلة علمية محكمة. المجلد ١٣. العدد ٢. ص ٩٠-١١١.
- كامل سعيد، شهرزاد. (٢٠١١). «النعمة في اللغة العربية». مجلة جامعة دمشق. كلية الآداب والعلوم الانسانية. المجلد ٢٧. ص ٤٥٧-٤٨٠.
- لطفى پور ساعدي، كاظم. (١٣٧١). درآمدى بر اصول و روش ترجمه. تهران: مركز نشر دانشگاهى.
- المتوكل، أحمد. (١٩٨٥). الوظائف التداولية في اللغة العربية. المغرب: الدار البيضاء.
- المتوكل، أحمد. (٢٠٠٠). المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد. الرباط: دار الأمان.
- المتوكل، أحمد. (٢٠١٠). الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- مزيان، علي حسن. (٢٠٠٧) فصول في علم اللغة. بنغازي: دار شموع الثقافة.
- همايونى، سعدالله. (١٣٩٤). ميزان اثريخسى الكوى تركيبى ATN-D بر فرآيند يادگيرى

مقاله زبان عربی. پایانامه دکترا. دانشگاه تهران: دانشکده ادبیات و علوم انسانی.

المواقع:

ابو الحارث. (۲۰۱۴). علم الدلالة والبراهیناتك. <http://www.entsab.com>

الدريد، محمد. (۲۰۱۵). «اللغة و الثقافة». المجلة العربية. عددالمجلة : ۴۵۱ ([http://](http://kenanaonline.com)) . (kenanaonline.com)

Archive of SID

Archive of SID

آموزش زبان عربی بر اساس کاربردشناسی و گفتمان بین فرهنگی

سعد الله همایونی*

استادیار بخش زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تهران، ایران.

چکیده

زبان همچنانکه مهمترین ابزار بیان خواسته‌های ذهنی و قلبی انسان‌هاست، آینه تمام‌نمای زندگی مادی و معنوی جوامع بشری نیز محسوب می‌شود. بر پایه همین موضوع، صاحب‌نظران حوزه‌های مختلفی از قبیل زبانشناسی، روانشناسی آموزشی، جامعه‌شناسی، علوم ارتباطات، مطالعات فرهنگی و ... سازوکار ساختار زبان‌ها و نظام‌های زبانی را از منظر ترکیبی، معناشناختی و کاربردشناختی بررسی کرده‌اند. پژوهش‌های مزبور از طریق تحلیل فرایند بیان و درک متقابل ارتباطات کتبی یا شفاهی، زمینه مناسب ارائه روش‌های جدید آموزشی در حوزه یادگیری زبان را فراهم آورده است. با این هدف، پژوهش حاضر در صدد است بر اساس روش توصیفی - تحلیلی از منظر مفاهیم نظری نحو کاربردی و در سایه کاربردشناسی و گفتمان بین فرهنگی، رویکردی تازه در فرایند آموزش زبان عربی ارائه کند. در این رویکرد، مواد درسی در چارچوبی کاربردشناختی - بافتی عرضه می‌شود تا زمینه اندیشیدن در زبان عربی را برای دانشجو فراهم کند و به تبع آن، زبان را متناسب با بافت‌های زبانی و کاربردی به کارگیرد.

واژگان کلیدی: زبان و فکر، رویکرد کاربردی، گفتمان بین فرهنگی، آموزش زبان عربی.

* نویسنده مسؤول: homayooni84@ut.ac.ir

Teaching Arabic language based on pragmatics and intercultural discourse

Saadollah Homayuni*

Assistant Professor in Arabic Language and Literature, Tehran University, Iran

Abstract

Language is regarded as the manifestation of intellectual and material life of mankind so that it is the most prominent means for human beings to express their mental and heart's desires. Accordingly, various theorists in different areas including linguistics, psychology, sociology, communication sciences, cultural studies, and etc. have studied the mechanism of languages structures and lingual systems from the view of combination, semantics and pragmatics. Hence, they provided an appropriate background for presenting new methods in learning a language through speech process analysis and mutual perception of written and verbal communications. In this regard, the present author seeks to present a new approach in Arabic learning process based on a descriptive-analytical method from the view of theoretical concepts of applied syntax and in the light of pragmatics and intercultural discourse. Through this approach, the materials are presented in a pragmatism-contextual framework to provide a basis for the students to think in Arabic and to apply the language according to the lingual and applied textures.

Keywords: language and thinking, applied approach, intercultural discourse, teaching Arabic language.

* Corresponding author: Homayooni84@ut.ac.ir